

التبيان في تفسير القرآن

(360) يهبط منها ، وما بعد القول وإن كان استئنافاً والفاء لا يستأنف بها وإنما يكون كذلك، لأن ما قيل له بعد جوابه الذي أجاب به ، فهو حكاية ما كان من الكلام له الثاني بعد الاول. والهبوط والنزول واحد. وفرق بينهما بأن النزول يقتضي تنزله إلى جهة السفلى بمنزلة بعد منزلة ، وليس كذلك الهبوط، لأنه كالانحدار في المرور إلى جهة السفلى، وكأن الانحدار دفعة واحدة، كما قال الشاعر: كل بني حرة مصيرهم * قل وإن أكثروا من العدد إن يغبطوا يهبطوا وإن * أمروا يوماً فهم للفناء والفند (1) وقيل في الضمير الذي في قوله " منها " قولان: أحدهما - قال الحسن: إنه كناية عن السماء، لأنه كان في السماء فاهبط منها. الثاني - قال أبو علي: كناية عن الجنة. فان قيل من أين علم إبليس أن الله تعالى قال له هذا القول؟ قلنا عنه جوابان: أحدهما - قال أبو علي: إنه قال له على لسان بعض الملائكة. الثاني - أنه رأى معجزة تدله على ذلك. وقوله " فما يكون لك أن تتكبر فيها " معناه ليس لك أن تتكبر فيها ، والتكبر إظهار كبر النفس على جميع الأشياء ، فهو في صفة العباد ذم، وفي صفة الله مدح، كما قال تعالى " الجبار المتكبر " (2) فالجبار القاهر لجميع الأشياء. والمتكبر الدال بذاته على أنه أكبر من جميع الأشياء. وقوله " فاخرج إنك من الصاغرين " أمر من الله لإبليس بالخروج، لأنه من الصاغرين. والصاغر هو الذليل بصغر القدر، صغر يصغر صغراً وصغاراً، وتصاغرته إليه نفسه ذلاً ومهانة، والاصل الصغر. _____ (1) (2) سورة 59 الحشر آية 23. قائله لبيد وقد مر في 1 / 73 (2) سورة 59 الحشر آية 23.